«حريم القاعدة» الانتحاريات: لماذا وكيف ؟

لكن عندما تضاعف هذا العدد لأكثر من خمس مرات خلال الشهور الثمانية الأولى في العام الجاري، يصبح الأمر في حاجة إلى تفسير أكثر عمقاً. ويتيح ضبط فتاة يوم 24 أغسطس الماضي، قبل تنفيذها عملية انتحارية، فرصة لفهم ظاهرة تتنامى اعتماداً على حالة واقعية هي الأولى من نوعها. ففي الحالات السابقة بدا الأمر كما لو أننا إزاء أشباح، إذ لم يُعرف عنهن سوى إقدامهن على تفجير أنفسهن، من دون إشارة إلى هويتهن وظروف وملابسات انتحارهن، وإن كانت البيئة الاجتماعية السياسية في محافظة ديالي التي تعتبر المفرخ الأساسي لهذه الظاهرة، قد أعطت مؤشرات على ذلك.

ولهذا تعتبر المدعوة «رانيا مطلك العنبكي» هي الحالة الأولى التي لا يُدفن سرها مع الأشلاء التي تتطاير إبان تنفيذ العملية الانتحارية. وتؤكد المعلومات التي أدلت بها وسمحت السلطات العراقية بنشرها أننا إزاء ظاهرة جديدة حقاً آخذة في التشكل في ثنايا الواقع العراقي الاجتماعي السياسي الديني، وأن حديث المرض النفسي والتخلف العقلي هو نوع من التفسير الخرافي لها أو الاستثنائي في أفضل الأحوال، مثله مثل ما قاله مسؤول أمني في محافظة ديالي وهو أن «رانيا كانت تتجه لتنفيذ العملية الانتحارية بتأثير مخدر»!.

فهذا كلام يتعارض مع جوهر ما أفادت به الفتاة وسمحت السلطات العراقية بنشره، وهو أنها تنتمي إلى عائلة وثيقة الصلة بتنظيم «القاعدة». فقد قُتل والدها قبل حوالي عام ونصف العام أثناء تنفيذه عملية انتحارية في منطقة أبو صيدا. أما والدتها وخالتها فتقومان بتجنيد الانتحاريات في وسط بعقوبة.

وهذه حالة واضحة تماماً يسبق التنفيذ فيها تخطيط وإعداد وتدبير في بيئة اجتماعية مغلقة على نحو يجعل من السهل شحن المرشحة للقيام بعملية انتحارية.

وتدل المعلومات المتوفرة عن العمليات التي نفذتها انتحاريات على أنهن فعلن ذلك بإرادة كاملة، على نحو يفيد أنهن كن على اقتناع بما أقدمن عليه. وقد ظهر عدد من النساء اللواتي تعتبرن «مشاريع انتحاريات» في شريط مصور تم توزيعه في العراق العام الماضي، ليقلن إنهن يدافعن عن الإسلام وحرمته ويرفضن الوقوف مكتوفات الأيدي تاركات الشباب والكهول يدافعون عن الوطن.

وفي إحدى هذه العمليات التي وقعت في 17 فبراير الماضي بحي الكرازة وسط بغداد، أظهرت الانتحارية قدرة عالية على المناورة عندما فرت من جنود اشتبهوا بها قرب نقطة تفتيش، وفجرت نفسها على الفور في متجر صغير مما أدى إلى تواضع «الحصيلة» حيث اقتصرت على ثلاثة قتلى وأربعة مصابين.

وهذا يكفي لإسقاط التفسير الذي يذهب إلى ربط العمليات الانتحارية النسائية بمرض عقلي أو نفسي. فمؤدى هذا التفسير أن النساء الانتحاريات يتعرضن للتغرير بهن، وهو ما لا ينسجم مع ملابسات العمليات الجاري تنفيذها منذ العام الماضي بالطريقة نفسها تقريباً، وهي ارتداء حزام ناسف، بينما اقتصر الأسلوب الذي يمكن أن يدل على وجود تغرير، وهو التفجير بنظام التحكم عن بعد، على عمليتين نُفذتا بالتزامن في الأول من فبراير الماضي. وكانت إحداهما في السوق الرئيسية للطيور والحيوانات قرب وسط العاصمة، والأخرى في سوق شعبية في ضاحية بغداد الجديدة.

وفي هذا النوع من العمليات التي يحدث فيها التفجير عن بعد، يجوز افتراض أن المرأة هي مجرد أداة تنفيذ وليست منفذة عن وعي وإدراك واقتناع، وأنها قد تكون مضطربة عقلياً أو نفسيا على نحو يسمح باستخدامها على هذا النحو.

غير أن الطابع الغالب على عمليات التفجير النسائية ليس كذلك، وإن كان القائلون بفكرة أن الانتحاريات يتعرضن للتغرير بهن يدفعون بأنه يصعب إثبات حدوث التفجير عن بعد لأن الانفجار الهائل الذي يحدث يؤدي إلى تدمير كل التفاصيل المرتبطة بالجهاز الذي يُفجِّر الحزام الناسف مما يحول دون التيقن مما إذا كانت الانتحارية هي التي ضغطت على زر الجهاز بنفسها، أم أن هذا حدث عن بُعد.

غير أن هذا الدفع يفتقد إلى دليل يسنده، ولا يكفي بالتالي للتشكيك في خطورة ظاهرة المرأة الانتحارية أو «حريم القاعدة»، وخصوصاً حين يتبين أن هناك نساء مخططات لهذه العمليات الانتحارية أيضاً.

ولم تكن سعاد ووجدان الخزرجي (والدة وخالة رانيا التي ضُبطت قبل تنفيذ عملية انتحارية) هما أول امرأتين يُكشف النقاب عن دورهما في تجنيد انتحاريات والتخطيط لعمليات تقوم المجندات بتنفيذها. فقد ثبت أن بعض المعتقلات قمن بتجنيد انتحاريات في داخل أحد السجون على الأقل، وأن المجندات نفذن عمليات بعد التحاقهن بالتنظيم فور إطلاق سراحهن.

وتوفر الظروف البائسة في العراق للقائمات بالتجنيد فرصاً كبيرة للنجاح عندما يركزن على فتيات وسيدات بسيطات يعانين فقراً مدقعاً أو قتل أزواجهن وأبناؤهن وترغبن في الانتقام والقصاص. وتصبح المهمة أسهل حين تكون المستهدفة فقيرة بائسة ومكلومة في الوقت نفسه لفقد الابن أو الزوج، الأمر الذي يجعلها في حالة يأس كامل. ويؤدي ذلك إلى زيادة استعدادها للتأثر بالضغوط، خصوصاً وأن البيئة الاجتماعية التقليدية في المناطق الريفية بمحافظة ديالي التي جاء منها معظمهن تجعل النساء تابعات لا يتمتعن بأي حقوق.

ويضاف إلى ذلك ما ترتب على توطن «تنظيم القاعدة» في هذه المحافظة منذ طرده من الأنبار عام 2004. وقد اتجه التنظيم إلى تشجيع انخراط نسائه وكل من يمكن تجنيدهن في «الجهاد» بعد الضربات القاسية التي تعرض لها وفقد فيها الكثير من أعضائه وكوادره الرجال الذين بات صعباً تعويضهم بعد أن انقلبت عليه الكثير من العشائر السُنّية على نحو حرمه من المتطوعين والملاذ الآمن. ولعل هذا يفيد في تفسير إقدام انتحاريات على تفجير أنفسهن في أهداف ذات صلة بالصراع المذهبي الذي خاضه تنظيم «القاعدة» أيضاً في العراق ضد الشيعة الذين يُطلق عليهم «الرافضة». فقد كانت «القاعدة»، وما زالت، هي وحدها التي ناصبت الشيعة في العراق العداء العلني واستهدفتهم جهاراً نهاراً.

ومن أكثر هجمات الانتحاريات إغراقاً في المذهبية، وأشدها إيلاماً في الوقت نفسه، تلك التي قامت بها ثلاث منهن في حي الكرازة في 18 يوليو الماضي، حين هاجمن مسيرة للشيعة المتوجهين سيراً على الأقدام إلى مدينة الكاظمية شمال بغداد لإحياء ذكرى وفاة الإمام موسى الكاظم، مما أدى إلى مقتل 25 شخصاً وإصابة أكثر من مائة. ولم تمض ثلاثة أسابيع حتى نفذت انتحاريتان أخريان عمليتين في 14 أغسطس في بلدة الإسكندرية بكربلاء ضد زوار قدموا إليها لإحياء ذكرى ميلاد الإمام المهدي، وهو الإمام الثاني عشر لدى الشيعة، مما أدى إلى مقتل 22 وجرح 73 شخصاً.

وهكذا ترتبط ظاهرة الانتحاريات العراقيات بظروف اجتماعية سياسية يمكن إدراكها وفهم أبعادها دون حاجة إلى الكشف على حالتهن العقلية والنفسية، مثلهن في ذلك مثل نساء أقدمن على الانتحار العقائدي السياسي قبلهن في مناطق أخرى من العالم مثل الشيشان. فقد قامت الانتحاريات بدور بالغ الأهمية في المعركة ضد القوات الروسية، ورأينا صورهن التي تظهرن فيها ملثمات بالأسود لا تظهر منهن سوى أعينهن في عمليات غير انتحارية أيضاً مثل عملية احتجاز الرهائن في مدرسة للأطفال في بيسلان قبل أربع سنوات.

ويجمع بين الانتحاريات العراقيات والشيشانيات أن التنظيمات التي تحتاج إلى مشاركتهن وتعتمد عليهن لا تحفل بهن فيبقين مجرد أرقام لا أسماء لهن، بخلاف مثيلاتهن في صفوف ثوار التاميل في سري لانكا، واللاتي حققن معدلات قياسية في العمليات الانتحارية لا يمكن أن يباريهن فيها غيرهن، ونفذت انتحاريات نسبة تتراوح بين 30 و40 في المائة منها.

عن/ صحيفة «الاتحاد» الإماراتية

بكل الاتجاهات

الاسترليني يسجل أسوأ أسبوع أمام الدولار منذ 16 عاما

مجموعة من العملات النقدية فئة ا لجنية الاسترليني في صورة التقطت بلندن

لندن/14أكتوبر/ رويترز:

واصل الجنيه الاسترليني انخفاضه أمام الدولار الأمريكي أمس الجمعة ويبدو أنه سيسجل أسوأ أداء أسبوعيا مقابل العملة الأمريكية منذ 16 عاما بفعل إقبال المستثمرين على سحب أموالهم من الأسواق ذات المخاطر الأعلى بسبب الأزمة المالية العالمية.

ويبدو أيضا أن الجنيه الاسترليني سيسجل أيضا أسوأ أداء أسبوعيا أمام العملة الأوروبية الموحدة منذ طرحها للتداول عام 1999 .

وسجلت الاسهم البريطانية هبوطا حادا صباح أمس الجمعة اقتداء بالاسواق الاسيوية والأمريكية.

وطغى عزوف المستثمرين عن المخاطرة على الخطة التي أعلنتها الحكومة البريطانية هذا الاسبوع لدعم النظام المصرفي.

وفي الساعة 0822 بتوقيت جرينتش انخفض الجنيه الاسترليني واحدا في المائة إلى 1.6909 دولار.

كما ارتفع اليورو الأوروبي 1.2 في المائة إلى 80.84 بنس.

وانخفض الاسترليني 1.5 في المائة إلى 167.37 ين مع إقبال المستثمرين على العملة اليابانية منخفضة العائد كملاذ امن لاستثماراتهم.

منظمة الصحة: الأزمة المالية تزيد المخاوف بشأن الصحة العقلية

الأزمة المالية سبب مشكلات الصحة العقلية

جنيف/14أكتوبر/ رويترز:

حذرت منظمة الصحة العالمية من أن الازمة المالية العالمية ستتسبب على الارجح في زيادة مشكلات الصحة العقلية وحتى حالات الانتحار فيما يكافح الناس لمواجهة الفقر والبطالة.

وتأثر بالفعل مئات الملايين من الأشخاص في أرجاء العالم بمشكلات عقلية مثل الاكتئاب وقد تفاقم الازمة الحالية مشاعر الإحباط بين من هم عرضة لمثل تلك الامراض.

وقالت مارجريت تشان المدير العام للمنظمة في اجتماع لخبراء الصحة العقلية "ينبغي ألا نفاجأ أو نهون من شأن الاضطرابات والعواقب المحتملة للازمة المالية الحالية. في الواقع نحن نرى فجوة كبيرة في العناية بأناس في حاجة ماسة اليها."

وتابعت أن الفقر والتوترات المصاحبة له بما في ذلك العنف والعزلة الاجتماعية والشعور الدائم بانعدام الامن أمور مرتبطة بظهور الاضطرابات العقلية.

وحذرت قائلة "ينبغي ألا نصاب بالدهشة إذا استمرت الزيادة في التوترات وحوادث الانتحار والاضطرابات العقلية."

وردا على سؤال لرويترز بشأن الازمة المالية قال بينيديتو ساراسينو مدير قسم الصحة العقلية بالمنظمة "الفقر يمكن أن يكون أحد عواقب تلك الاحداث.. والديون والإحباط والشعور بالخسارة والتي ربما تلحق بالطبقات المتوسطة والفقيرة. حتى الفقراء يمكن أن يتأثروا بالازمة."

وأضاف "هناك أدلة لا لبس فيها على أن الانتحار مرتبط بالكوارث المالية. لا أتحدث عن (انتحار مليونير) وانما عن أناس فقراء."

وقال ان من الممكن توقع أن تؤثر الازمة المالية العالمية على "استقرار المجتمعات والاسر".

مع الأحداث

سعيد محمد سالمين

السرطان والسياسة

بالرغم من الاكتشافات العلمية الباهرة، فقد عجزت إرادة الإنسان وبحوثه حتى اليوم عن حصار مرض السرطان الفتاك، وعن الوصول إلى علاج حاسم لأنواعه المختلفة. إنه المرض الذي يموت به كل عام مئات الألوف من البشر، ومن كل الأعمار (الصغار والكبار)، بل وتزيد نسبة الذين يصابون به والذين.. يموتون به كل عام.

ولم يكن العجز العلمي هو مصدر هذا الفشل بقدر ما كانت عقبات المصالح، فالشركات الصناعية العملاقة تحقق أرقاماً فلكية من الأرباح في ظل الأوضاع الحالية من التلوث البيئي الذي هو المصدر الأول لمعظم أنواع السرطان. ولقد حاولت هذه الشركات بكل الأساليب، وستظل تحاول على الأرجح الوقوف أمام جهود الإنسان لمحاصرة تلوث بيئته. فالسرطان ليس نتاج المجتمع الصناعي في حد ذاته، وإنما هو نتاج التلوث الصناعي بأوسع معانيه. وإذا استطاع الإنسان أن يسيطر على هذا التلوث، فقد استطاع أن يحاصر مرض السرطان.

وكما هو معروف فإن السرطان يتميز بنمو غير مسيطر عليه في الأنسجة، وهذا النمو يؤدي إلى ظهور ورم في الجزء المصاب، لكن سرطان الدم (اللوكيميا) ليست له أي مظاهر واضحة كما يقول الأطباء المختصون.

ولكن هل هناك علاقة بين السرطان والسياسة؟ وما دخل السياسة في موضوع كهذا؟ والإجابة هي انه إذا كان المقصود بالسياسة الجهد الجماعي للإنسان لرفع مستواه المعيشي، وإعلاء إنسانيته في مواجهة كافة العقبات التي تحول دون ذلك، فإن للسرطان – أكثر من أي آخر – صلة وثيقة بالسياسة.

وهناك شبه اتفاق الآن على أن السرطان هو في المحل الأول مرض التلوث الصناعي بأوسع معانيه (التلوث في أماكن العمل، في هواء المدينة، في الغذاء، في السجائر..الخ) وانه على هذا الأساس يمكن أن يمنع انتشاره وازدياد خطره.

لكن الشركات العملاقة العالمية والمتعددة الجنسية تقف – موضوعياً – خصماً عنيداً ضد هذا، لأن محاصرة التلوث البيئي سوف يؤدي إلى خفض أرباح هذه الشركات أو ضياعها.

ختاماً نقول : إن مكافحة السرطان ليست مشكلة طبية فحسب وإنما هي مشكلة في صميم موقف الرأي العام من الشركات الصناعية الكبرى التي ترك لها الحبل على الغارب لإنتاج ما تريد صناعياً دون اعتبار كاف لمقتضيات أمن العاملين فيها أو المستهلكين لمنتجاتها. لقد أخذ هذا المرض القاتل يزحف إلى البلدان النامية، ومن ضمنها بلادنا، مع تزايد استيرادنا لتكنولوجيا الغرب، وتزايد تبنينا لأنماط الاستهلاك العربية، واتساع استيراد منتجات الغرب الاستهلاكية.

فمتى نتنبه إلى خطورة هذا المرض ومحاولة محاصرته بجدية، واتخاذ إجراءات أمن صناعي دقيق في كل مصنع، باعتبار إن عماله هم المصابون أولاً وأخيراً، وفحص المواد الكيميائية الجديدة والمواد التي تدخل في الصناعات الغذائية من زاوية علاقتها بالسرطان؟

منير محمد الصلوي

أطلق عنان توقعاتك لتلامس معاني إيجابية

مر وقت طويل ونحن الاثنين على أفضل ما يرام من المودة والصداقة والحميمية .. كنت أجده في أي وقت أطلبه، فينير طريقي بما ينثره فيها من لآلئ و جواهر ثمينة تغنني عن طلب سواه، لقد سندني في أوقات كثيرة، وأفاض علي من كرم عطائه وفيض مكنونه ما جعل عقلي يشع نوراً وقلمي ينبض بالحياة ..

إن واجهتني الخطوب والملمات؛ أجده بجانبي، يشد من أزري حين أشركه في أمري، فأجد عنده الحلول الناجعة والإرشادات النافعة .. وفي غير تلك الأوقات كان سميري وخليلي، يتنقل بي من علم إلى علم ومن فن إلى آخر، أجني معه رحيق الأفكار وخلاصة التجارب ودرر الأشعار..

لقد كان منحة ربانية، وعلاقتي به أنموذجية .. حتى أصبح بحق خير جليس، وأعز صديق إلى نفسي .. والجميل في تلك العلاقة أننا الاثنان صنعنا جسراً رائعاً للتواصل البناء فيما بيننا أسسناه على التفاهم والثقة والإيجابية ..

ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟؟ كأني بك عزيزي القارئ تسأل هذا السؤال ؟!

لقد حدث أمر جلل !! فدعني أصف الحدث .. فلقد كان درساً جديداً أضافه صديقي الحميم (الكتاب) إلى رصيده في تعليمي ..

جمر التوقعات :

كنت ذات يوم أبحث عن معلومة، فاستنجدت بكتابي لثقتي بأنني سأجد ضالتي لديه .. ولكن للأسف فإنه في هذا الظرف العصيب قد تبع خطى ضالتي فغاب عن عيني – هو أيضاً-!! (فظننت) أنه قد توارى استحياءً خلف أحد الملفات أو تحت بعض الأوراق؛ بعدما حس بحاجتي، فلقد تملكه الخجل لأن ضالتي لم تكن متوافرة لديه؛ ففضل التواري عن المواجهة .. لكن عهدي به أنه لا يخلط الأوراق، وأنه شجاع وصريح، والأمور بيننا في منتهى الشفافية والوضوح .. فماذا حدث إذن ؟؟ (سألتني نفسي هذا السؤال) !! فأجبت: لعله يتهرب مني لأنه مكدّر الخاطر من ناحيتي بسبب جفوتي ومقاطعتي له منذ فترة .. فجديت في البحث عنه لأعيد الود القديم، وأجدد العهد .. وعندما لم أجده؛ ضاق بي الحال، وانقبض صدري، (وتوقعت) أنه قد عاف مصاحبتي ورغب بنفسه عني، أو لعله قد اتخذ له صديقاً غيري .. فالتهبت النار في جوفي، وأقسمت أن أنتقم منه ولو كلف الأمر ضياع كل شيء ..

وبقيت في حالة من الهستيرية والفوران أرغي وأزبد، وأوصمه بكل لفظ (قبيح) .. ثم (قلت لنفسي) : من المؤكد أنه يتعمد خذلاني لينتقم مني بسبب ذلك الموقف الذي حدث سابقاً عندما قام أحد أبنائي بسلخ غلافه، وقلع بعض أوراقه !!

إنتهاء مسرحية الألم..

وبقيت ساعات أتقلب في جمر أفكاري وتوقعاتي التي شكلت سلسلة لا متناهية من السلبية؛ كبلتني وقيدت بصري وبصيرتي، وألقت بي في الدرك الأسفل من التعاسة والألم .

وظللت أغوص .. أغوص في بحيرة من الكآبة إلى أن دق جرس ساعتي يعلن انتهاء (مسرحية الألم).. وينبهني بأن وقت النوم قد استنفد، ووقت الصلاة قد أزف، وأنه يتوجب عليّ أن أستيقظ لأستعد ليوم جديد أستفتحه باتصال أجريه بمصدر الطهر والنقاء.

لم أصدق وأنا أفتح عيني أنني في بر الأمان .. وأنني ما برحت مكاني منذ البارحة، وأن علاقتي بصديقي لم تشبها شائبة، حتى التفت يمنة ويسرة لأجد كل المعالم تحكي أنني فعلاً ما برحت مكاني منذ أن تغشاني نوم عميق وأنا بين أحضان كتابي ..

فها أنذا على فراشي، وهذا كتابي إلي جانبي مفتوح ينطق بالحق .. ويشهد أنني توقفت معه - قبل أن يغلبني سلطان النوم – عند عبارة : (راقب أفكارك فإنها ستصبح كلمات، وراقب كلماتك فإنها ستصبح أفعالاً .. وراقب أفعالك فإنها ستصبح طبائع .. وراقب طبائعك فإنها تحدد مصيرك .. فحياتك من صنع أفكارك) ..

فحمدت الله أنني كنت في حلم، فقد كان بحق حلم وعلم ..

www.muniralselwi.jeeran.com